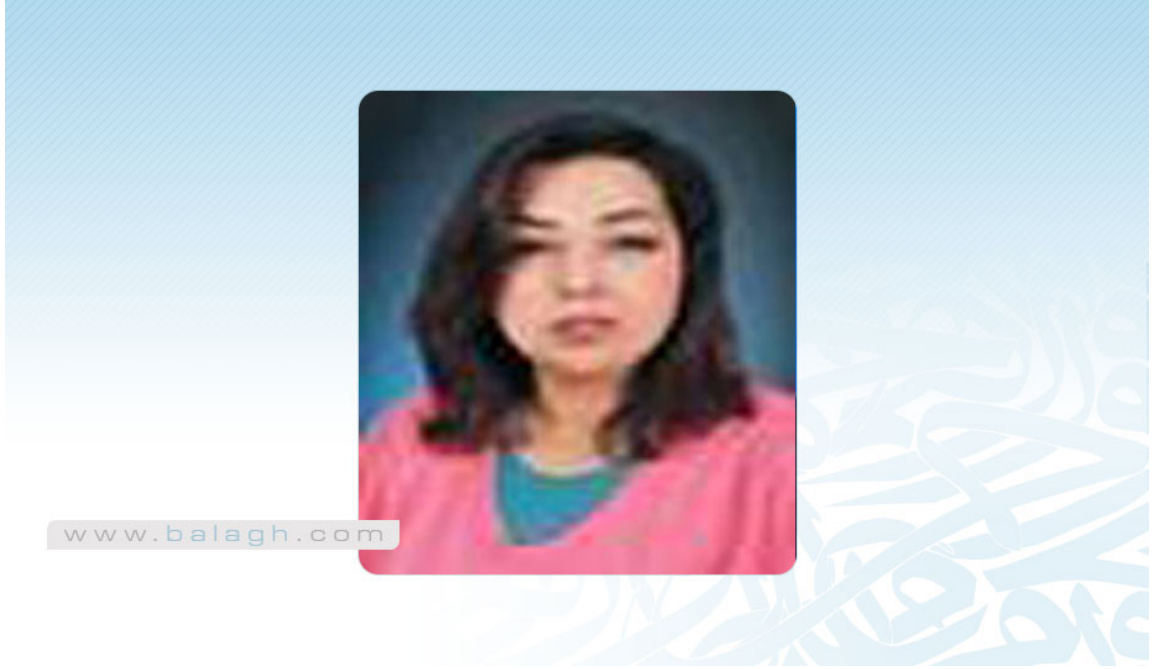


مات.. ولم يعلم



وهل يعلم كائن حي بموته؟ بالطبع لا، وإن تنبأ البعض بذلك، لكن لأحد يعلم متى تغادر الروح سوى خالقها.

ظهر في تصريح على إحدى القنوات، لم أره منذ مدة طويلة، منذ تسلم منصبا مهما في الدولة. هذا السبب كان مختلفا، لأنه أصبح مهما؟ كان مهما أيضا كإنسان، أكاديمي، مثقف، مرح، محب للقراءة، مبدع يطمح إلى طبع كتاب يضم كتاباته. كان محبا للحياة، فاتحاً ذراعيه لها بكل تفاصيلها، يشع حبا فيتوهج وجهه طيبة وفرحاً. وكان طموحاً، قاده طموحه ليتبوأ منصبا مهما في الدولة، فتقاعد عن الحياة، وربما لهذا السبب كان وجهه جافاً، قاسياً، أو بارداً كميتاً، أو هكذا خيل إلي!

قال لي أحد النوّاب في حوار صحفي (خارج التسجيل): «تغيّر كثيراً بعد أن أصبح نوّاباً، تغادرنا براءتنا، طيبتنا، ولا نشعر بمتعة ماحولنا»، نسي النائب أن يختصر ما قاله في (انسانيتنا).

فالمرء يفقد شعوره بلذة الأشياء عندما تتكلس الروح، الشريان المغذي للإنسانية، وهكذا يصبح الفرق

بين أن (نحيا) و (نعيش)، كالفرق بين (نعيش لكي نأكل)، و(نأكل لكي نعيش).

كل إنسان يطمح للنجاح والوصول الى أعلى المناصب، وليس كل من يتقلد المناصب يدرك فعلها فيه، فمهما حاول مسك العصا من الوسط، والتوفيق بين حياته وانسانيته من ناحية، وبين عمله من ناحية أخرى، فلن ينجح.

قبل أيام شاهدت صورة الرئيس الاميركي أوباما على إحدى المجلات، وقد غزا شعره الشيب تماما، وتذكرت نبوءة أحدهم بذلك يوم تسلم أوباما الرئاسة في بداية ولايته الاولى، وكان شعره حينئذ أسود تماما. وله الحق في ان يشيب خلال سنوات حكمه التي ستتم ثماني سنوات، فإوباما يقود العالم ويبذل جهدا مع حكومته في ابتكار الاساليب الهوليودية لتدميره. ومع ذلك، ظهر أوباما قبل أيام يلقي خطابه الاسبوعي، بـ(فيكة) جديدة، حيث اصطحب ممثلا هزليا يقف الى جانبه يقلده ساخرا، أثار عاصفة من الضحك، في حين استمر الرئيس في خطابه. قد يبدو تصرف أوباما غريبا بالنسبة للسياسيين والناس، ومهما كان القصد من ورائه، الا انه بث روح المرح في نفس الحاضرين.

ولسنا هنا في مجال لمدح أوباما أو ذمه او تحليل ما فعل، بل للتساؤل عن فعل المنصب في نفوس من تقلدوه، وفي نفس البرلمانين، بل وفي نفس كل انسان تأخذه دوامة العمل فينسى الحياة. والحياة هي القيمة العليا التي تؤججها جذوة الروح، ومن دون كل هذا تتحول الى مجموعة أيام أو سنوات تمر كجنود في ساحة التدريب الصباحي.

لم يقتصر الامر على سياسيينا وقادتنا فقط، بل غزا موت الروح الكثير من وجوه العراقيين، ولهم الحق في ظل شبح الموت والدمار الذي يخيم دائما على حياتهم، ولكن، أقسى الموت هو ذلك الذي يتسلل الى الروح فيغتالها من دون أن يعلم صاحبها بأنه مات من دون أن يعلم.